كانت المدن الايطالية السابقة في التحرر من سيطرة الاقطاعيين وهذا ماظهر بوضوح كبير في فلورنسا . لقد طور احفاد الأقنان – سكان المدن والتجار والحرفيون – التجارة الخارجية والصناعة وتحولوا إلى طبقة جديدة هي الطبقة البرجوازية . كانت هذه الطبقة تنظر الى العالم بعيون جديدة وتقف على الأرض بصلابة وتثق بنفسها لاسيما بعد أن صدت سياسة الأباطرة الألمان التوسعية وبقيت مالكة لبلادها . فازدادت النظرة المأسوية إلى العالم وروح العذاب وجمالية الفقر والمثل التي انعكست في فن القرون الوسطى كلها بعدا عن هذه الطبقة الجديدة وغربة . لقد نما لدى القوى الجديدة الصاعدة شعور باحترام الانسان ابن الأرض الذي يواصل مسيرته المظفرة مدركاً العالم كما هو ويعيش مباهج الحياة الدنيوية بعد أن كف عن التصوف اليائس . لم يبق الانسان في نظر القوى الاجتماعية الجديدة « غرسة ضعيفة » أو « ذبالة في مهب الريح » بل هو ، في نظرها ، بطل جاء إلى الحياة ليحقق البطولات والمآثر . وآمنت هذه القوى بالبداية الخيرة في طبيعة الانسان ومجدت الفرح الأرضي وردت الاعتبار إلى طبيعة الانسان الشعورية واحست بامتلاء الحياة حتى النهاية فناضلت في مجالات البحث العلمي والتجارة والثراء وأمور المتعة .

لم يكن الثراء من نصيب جميع فئات المدن ، بل ان عمليات الفرز الطبقي وانقسام المجموعات الاجتماعية الجديدة إلى معسكرات متعادية استمرت في المدن الايطالية . فبعد اقرار دستور فلورنسا الجمهوري في القرن الثالث عشر انتشر الصراع بين الورشات التجارية القديمة والورشات الصناعية الناشئة ، وبين الورشات ككل والحرفيين الفقراء الذين لاينتظمون في ورشات . وفي نهاية القرن الخامس عشر انصبت المعارضة الفقيرة في حركة جماهيرية واسعة . ومما يلفت النظر ان هذه الحركة ثارت ضد حضارة النهضة الجديدة باتجاهها المدني وهذا دليل على أن فن العصور الوسطى بقي حتى ذلك الوقت ، أقرب إلى عالم أحاسيس المظلومين .

لكن ذلك لايعني ان فن النهضة لم يكن فنا شعبيا في جوهره . صحيح انه ارتبط ارتباطاً موضوعيا بالطبقة البرجوازية الصاعدة . ولكنه كان ايضا نتيجة قانونية لنضال الجماهير الشعبية ذاتها . اضف إلى ذلك أنه كان اساسا لنضوج النضال الديمقراطي الشعبي المقبل .